شرح ديوان
عمر بن أبي ربيعة المخزومي

تأليف
محمد محيي الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الطبعة الأولى
فى عام ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

[جميع حق الطبع محفوظ للشارح]

مطبعة السعادة بمصر

عمر بن أبى ربيعة

(١) هو أبو الخَطَّاب عمرُ بنُ عبد الله بن أبى رَبيعةَ حذيفة بن المغيرة ، من مخزوم بن يقَظَة بن مرة .

(٢) كان جَدُّه أبو ربيعةَ يسمى « ذا الرمحين » لطوله ، وكان يقال : كأنه يمشى على رمحين ، وقيل : إنه قاتل يوم عُكاظ برمحين ، فسمى ذا الرمحين لذلك ، وفيه يقول عبدالله بن الزِّبَعْرَى[1] :

ألا لله قوم و لدت أختُ بنى سَهْمِ

وأخت بنى سهم : هى رَيْطَة بنت سعيدبن سهم ، وهى أم بنى المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وهم : هشام ، وهاشم ، وأبو ربيعة ، والفاكه ، وعدة غيرهم لم يُعْقِبوا ، وإياهم عنى أبو ذؤيب بقوله :

صَخِب الشوارب لايزال كأنه عبد لآل أبى ربيعة مسمع

(٣) وكان اسم عبدالله بن أبى ربيعة فى الجاهلية بجيراً ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله ، وكانت قريش تلقبه «العِدْل» لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة فى الجاهلية بأجمعها من أموالها سَنَةً ، ويكسوها هو من ماله سنة ، فأرادوا بذلك أنه وحده عِدْلٌ لهم جميعاً فى ذلك ، وفيه يقول ابن الزِّبَعْرَى[1] :

بُجَيْرُ بن ذى الرمحين قَرَّبَ مجلِسى وراح علىَّ خيره غير عاتم[2]

---

(١) عبد الله بن الزبعرى ـ بكسر الزاى وفتح الباء المهملة ـ شاعر ، أدرك الدعوة الإسلامية ، وكان إلبا عليها مع قريش ، وقال كثيرا فى هجاء الرسول والمسلمين ، فلما فتح الله مكة على رسوله أتاه عبد الله بن الزبعرى معتذرا عما سلف منه ، وأنشد :

ياخير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم
إنى لمعتذر إليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم

فعفا عنه ، وأسلم مع من أسلم من أهل مكة

(٢) عتم عن الشىء ـ من باب جلس ـ وأعتم ، وعتم ـ بالتشديد ـ أى أبطأ ، وقالوا « فلان عاتم القرى » أى بطيئه ، كناية عن بخله

وقد قيل : إن العِدْل هو عمه الوليد بن المغيرة

(٤) وكان عبدالله تاجراً موسراً وكان مَتْجَره إلى اليمن ، وكان من أكثرهم مالاً ، وأمه أسماء بنت مَخْرَمَةَ ، وكانت عَطَّارةً يأتيها العطر من اليمن ، وقد تزوجها هشام ابن المغيرة أيضاً ، فولدت له أبا جهل [1] والحارث بن هشام ؛ فهى أمهما وأم عبدالله وعياش ابنى أبى ربيعة

(٥) وكان لعبدالله عبيد من الحبشة يتصرفون فى جميع المهن، وكان عددهم كثيراً ، وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى حُنَيْن : هل لك فى حَبَشِ بنى المغيرة نستعين بهم ؟ فقال : « لا خير فى الحبش ، إن جاعوا سرقوا ، وإن شبعوا زَنَوْا ، وإن فيهم خلتين جميلتين : إطعام الطعام ، والبأْس يوم البأْس »

(٦) واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبى ربيعة على الجَنَد [2]

---

(١) أبوجهل : هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو أحد العمرين اللذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمنى إسلامهما ويقول : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين » فكتب الله الشقاوة على عمرو بن هشام هذا ، وكتب السعادة لعمر بن الخطاب ؛ فكان هو أحب العمرين إلى الله ، واستمر أبوجهل على عناده وطغيانه وجبروته فى محاربة رسول الله وأصحابه حتى قتل فى غزاة بدر الكبرى : طعنه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله ، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته وتركه وبه رمق ، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود فاحتز رأسه

وأخوه الحارث بن هشام هو الذى يقول فيه حسان بن ثابت ، وكان الحارث قد فر من القتال يوم بدر :

إن كنت كاذبة الذى حدثتنى فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

(٢) الجند ـ بفتح الجيم والنون جميعاً ـ إحدى مدن اليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخا ، وكانت ولاية اليمن فى الإسلام مقسومة ثلاثة أقسام : الجند ومخاليفها وعليها وال ، وصنعاء ومخاليفها وعليها وال ، وحضرموت ومخاليفها وعليها وال .

ومخاليفها ، فلم يزل عاملاً عليها حتى قتل عمر رحمة الله عليه ، وقيل : إن عثمان بن عفان ـ رحمه الله ! ـ استعمله أيضاً عليها

(٧) وأم عمر أم ولد يقال لها مجد سبيت من حضرموت أو من حمير ، ومن هناك أتاه الغزل ، يقال : غَزَل يمانٍ ، ودَلٌّ حجازى

(٨) وكان لعمر ابنٌ صالح يقال له جَوان ، وفيه يقول العَرْجى[1] :

شهيدي جَوَان على حبها ... أليس بعَدْل عليها جَوَان

جاء جَوَان إلى زياد بن عبدالله الحارثى ـ وهو إذ ذاك أمير على الحجاز ـ فشهد عنده بشهادة ، فتمثل بهذا البيت ، ثم قال : قد أجزنا شهادتك ، وقَبِلَه

وجاء جوان إلى العَرْجى فقال : ياهذا مالى ولك تشهرنى فى شعرك ؟ متى أشهدتنى على صاحبتك هذه ؟ ومتى كنت أشهد فى مثل ذلك ؟

استعمله بعضُ ولاة مكة على تَبالة[2] فحمل على خَثْعَم فى صدقات أموالهم حملا شديداً ، فجعلت خثعم سنة جَوَان تاريخاً ، فقال ضُبارة بنُ الطفيل :

أتلبَسنا ليلى على شَعَثٍ بنـــا ... من العام أو يُرْمى بنا الرَّجَوان

رأتنى كأَشْلاء اللجـام وراقها ... أخو غزل ذو لَبَّةٍ ودهـــان

ولو شهدتنى فى ليالٍ مَضَيْنَ لى ... لعامين مَرَّا قبـل عام جَوَان

رأتنا كريمى معشر حُمَّ بيننا ... هوى فحفظناه بحسن صِيَانِ

نذودُ النفوس الحائمات عن الصِّبا ... وهُنَّ بأعنـــاق إليـه ثَوَانِ

---

(١) العرجى : هو عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان ، شاعر ، غزل ، تشبه بعمر بن أبى ربيعة فأجاد ، ولقب بالعرجى لأنه سكن العرج ـ بفتح العين وسكون الراء ـ وهو موضع فى الطائف ، فنسبوه إليه

(٢) تبالة هـذه : بلدة من أرض تهامة فى طريق اليمن ، بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخا ، وهى التى يقال فيها : أهون من تبالة على الحجاج ؛ لأنه وليها فى أول أمره بالولايات ، فاحتقرها ولم يقم بها

(٩) وكان لعمر أيضاً بنت يقال لها أَمَةُ الواحد ، وكانت مُسْتَرْضَعة فى هُذَيل ، وفيها يقول عمر وقد خرج يطلبها فَضَلَّ الطريق [1] :

لم تَدْرِ ولْيَغْفِرْ لها ربُّها ما جَشَّمتنا أَمَة الواحد
جَشَّمت الهولَ براذيننَا نسأل عن بيت أبى خالد
نسأل عن شيخ بنى كاهل أعيا خفاء نِشْدَة الناشد

(١٠) ولد عمر ليلة قتل عمر بن الخطاب ـ رحمة الله عليه ! ـ فقيل : أى حق رفع ؟ وأى باطل وضع ؟ ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها

(١١) قال يعقوب بن إسحاق : كانت العرب تُقِرُّ لقريش بالتقدم فى كل شىء عليها ، إلا فى الشعر ؛ فإنها كانت لا تقر لها به ، حتى كان عمر بن أبى ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً

وقال نصيب : عمر بن أبى ربيعة أوصفنا لرَبَّات الحِجَالِ

وقال سليمان بن عبد الملك لعمر : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال : إنى لا أمدح الرجال ، ولكن أمدح النساء

وسئل حماد الراوية عن شعر عمر ، فقال : ذلك الفستق المقشر

وسمع الفرزدق شيئاً من تشبيب عمر ، فقال : هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته ، وبكت الديار ، ووقع هذا عليه

وقال عبد الله بن سلمة بن أسلم : لقيت جريراً فقلت له : يا أبا حَزْرة ، إن شعرك رفع إلى المدينة وأنا أحب أن تسمعنى منه شيئاً ، فقال : إنكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب ، وإن أنسب الناس المخزومى « يعنى عمر »

(١٢) بَيْنَا ابنُ عباس فى المسجد الحرام ، وعنده نافعُ بن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه ؛ إذ أقبل عليه عمر فى ثَوْبين مصبوغين مُوَرَّدين حتى دخل وجلس ، فأقبل

(١) انظر القطعة رقم ٣٦٨ من الديوان

عليه ابنُ عباس فقال : أنشدنا ، فأنشده[1]

أمن آل نُعمْ أنت غادٍ فمُبكر غداة غـــدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ ؟
بحاجة نفس لم تقل فى جوابها فتُبلغ عذراً ، والمقالةُ تُعـــذِر
تهيم إلى نُعمْ ، فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول، ولا القلب مُقصر
ولا قرب نُعمْ إن دنت لك نافعٌ ولا نايها يُسلى ، ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نُعمْ ومثلُها نهى ذا النُّهَى لو يَرْعَوى أو يُفكر
إذا زرتُ نُعْماً لم يزل ذو قرابة لها كلما لا قيتـــه يتنمَّرُ
عزيز عليـه أن أُلِمَّ ببابها مُسِرّ لى الشَّحناء والبغضَ مُظْهِر
أَلِكْنى إليها بالسلام فإنه يُشَهِّرَ إلمامى بها ويُنَكِّر
بآية ما قالت غداة لقيتها بمَدْفَع أَكنان : أهذا المشهَّر
قفى فانظرى يا أسمَ هل تعرفينه أهذا المغيرِىّ الذى كان يُذْكَر
أهذا الذى أطريْتِ نعتاً فلم أكد وعيشِكِ أنساه إلى يَوْمِ أقْبَرُ
فقالت : نعم لا شك غيَّرَ لونه سُرَى الليـل يُحيى نَصَّه والتهجُّرُ
لئن كان إياه لقد حال بَعْدَنَا عن العهد والإنسانُ قد يتغير
رأت رجلاً أمَّا إذا الشمس عارضت فيَضْحَى وأما بالعشى فيَخْصَر
أخا سفر جوَّاب أرض تقاذفت به فَلَوَات ؛ فَهْوَ أشعثُ أغْبَرُ
قليلٌ على ظهر المطيـــة ظِلُّه سوى ما نفى عنه الرداء المحبّر
وأعجبها من عيشها ظل غرفة وريَّانُ ملتفُّ الحدائق أخْضَرُ
ووالٍ كفاها كلَّ شىء يهمها فليست لشىء آخِرَ الليل تَسْهَرُ
وليلة ذى دَوْران جَشَّمتنى السرى وقد يَجْشَمُ الهوْلَ المحبُّ المغرر
فبتُّ رقيباً للرفاق على شَفَاً أحاذر منهم مَنْ يطوف وأنظر
إليهم متى يَسْتَمْكِنُ النوم منهمُ ولى مجلس لولا اللبانة أوعَرُ

(١) انظر القطعة رقم ١ من الديوان

وباتت قَلوصى بالعَراء ورحلُها لطارق ليـل أو لمن جاء مُعْور
وبتُّ أناجى النفس أين خباؤها وكيف لما آتى من الأمر مَصْدَرُ؟
فدلّ عليها القلبَ رَيّا عرفتهـا لها وهَوَى النفس الذى كاد يظهر
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شُبَّتْ بالعشاء وأنؤر(١)
وغاب قُمَير كنت أرجو غيوبه ورَوَّح رُعْيان ونَوَّم سُمَّر
وخُفِّضَ عَنِّى الصَّوْتُ أقبلت مِشْيَةَ الـ ـحُباب وركنى خيفةَ القوم أزورُ
فحِيْتُ إذ فاجأتهـا فتَوَلَّهَتْ وكادت بمكنون التحية تجهر
وقالت وعضت بالبَنان: فضحتنى وأنت امرؤ ميسورُ أمرك أعسرُ
أريتَك إذ هُنَّا عليك ألم تَخَفْ رقيباً وحولى من عدوك حُضَّر
فوالله ما أدرى أتعجيلُ حاجة سرتْ بكَ أم قد نام من كنت تحذر؟
فقلت لها: بل قادنى الشوك والهوى إليك، وما عين من الناس تنظر
فقالت وقد لانت وأفرخ رَوْعُهَا كَلاَكَ بِحِفْظٍ ربُّكَ المتكبر
فأنت أبا الخطاب غيرُ مدافَع علىّ أمير ما مكثت مؤمَّر
فبتُّ قرير العينِ أعْطِيتُ حاجتى أُقَبِّلُ فاها فى الخلاء فأُكثر
فيالك من ليلٍ تقاصَرَ طولُه وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويالك من مَلْهًى هناك ومجلس لنا لم يكدِّره علينا مُكَدِّر
يميجُ ذكىَّ المسك منها مُفَلَّج رقيقُ الحواشى ذو غروب مؤشَّر
يَرِفُّ إذا يَفْتَرّ عنـه كأنه حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوان منوَّر(٢)
وترنو بعينيهـا إلىَّ كما رَنَا إلى رَبْرَب وَسْطَ الخميلة جُؤْذر
فلما تقضَّى اللـيل إلا أقله وكادت تَوالى نجمه تتغوَّر

(١) أنؤر: جمع نار، وأصل الجمع أنور - بواو مضمومة - فأبدل الواو المضمومة همزة، وهذا البيت من شواهد النحاة لذلك

(٢) فى رواية «تراه إذا ما افترعنه كأنه»

أشارت بأنَّ الحى قد حان منهمُ هُبوب ، ولـكن موعدلك عَزْوَرُ
فما راعنى إلا مُنَادٍ برحـــلة وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر (١)
فلما رأت من قد تَنَبَّهَ منهمُ وأيقاظهم قالت : أَشِرْ كيف تأمر
فقلت : أباديهم فإما أفوتهـم وإما ينالُ السيف ثأْراً فيثأَر
فقالت : أتحقيقاً لما قال كاشح علينا وتصديقاً لما كان يُؤْثَرُ ؟
فإن كان ما لا بُدَّ منه فغيره من الأَمر أدنى للخفاء وأستر
أقصُّ على أُخْتَىَّ بدءَ حديثنا ومالىَ من أن تعلما مُتَأَخَّر
لعلهما أن تبغيا لك مخرجاً وأن تَرْحُبَا سِرْباً بما كنت أَحْصَر
فقامت كئيباً ليس فى وجهها دَمٌ من الحزن تُذْرِى عبرة تتحدر
فقامت إليهـــا حُرَّتَانِ عليهما كسا آن من خَزِّ دمَقْس وأخضر
فقالت لأختيهـا : أعيناعلى فتى أتى زائراً والأمرُ للأمر يُقْدَرُ
فأقبَلَتَا فارتاعتـــا ثم قالتا : أَقِلِّى عليك الهمّ فالخطب أيْسَرُ
فقالت لها الصغرى : سأعطيه مُطْرَفى ودرعى وهذا البُرْد إن كان يحذر
يقوم فيمشى بيننا متنـكراً فلا سِرُّنا يَفْشُو ولا هو يظهر
فكان مجَنِّى دون من كنت أتقى ثلاثُ شُخُوصٍ كاعبان ومُعْصِرُ
فلما أجزنا ساحَةَ الحى قلن لى : ألم تَتَّقِ الأعـداء والليل مُقْمر (٢)
وقُلْنَ : أهذا دأبُكَ الدهْرَ سادراً أما تستحى أوترعوى أوتفـكر ؟
إذا جئتَ فامْنَحْ طرفَ عينيك غيرَنَا لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
فآخر عهد لى بها حين أعرضت ولاح لها خـــد نقى ومَحْجِرُ
سوى أننى يانُعْم قد قلت قولة لها والعتاق الأُ رحبيات تُزجر
هنيئاً لأهل العامرية نشرها الـــلذيذ وريَّاها الذى أتذكر

(١) فى رواية « إلامناد ترحلوا * وقدلاح معروف من الصبح أشقر »
(٢) أخذ صدر هذا البيت من قول امرىء القيس فى المعلقة :
فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

وقمت إلى عَنْس تخوّن نَيّها سُرَى الليل حتى لحمها متحسر(١)
وحبسى على الحاجات حتى كأنها بقية لوح أو شجار مُؤَسَّر
وماء بمَوْماة قليلٍ أنيسُهُ بَسَابِسَ لم يحدث به الصيفَ مَحْضَرُ
به مبتنًى للعنكبوت كأنه على طَرَف الأرجاء خام مُنَشَّر
وَرَدْتُ وما أدرى أما بعد مَوْرِدِى مِنَ الليل أم ماقد مضى منه أكثر
فقمت إلى مِغْلاة أرض كأنها إذا التفتت مجنونةٌ حينَ تنظُرُ
تنازعنى حرصاً على الماء رأسَهَا ومن دون ماتَهْوَى قليب مُعَوَّر
محاولَةً للماء لولا زمامُهَا وجذبى لها كادت مراراً تكَسَّرُ
فلما رأيت الضر منها وأننى ببلدة أرض ليس فيها مُعَصَّر
قَصَرْتُ لها من جانب الحوض ناشئاً جديداً كقَابِ الشِّبر أو هو أصغر(٢)
إذا شَرَعَتْ فيه فليس للمتَقَى مشافِرِها منه قِدَى الكف مُسْأَر
ولا دَلْوَ إلا القَعْب كان رشاءه إلى الماء نِسْع والجديل المضَفَّر
فَسَافَتْ وماعافت ومارَدَّ شربَهَا عن الرى مطروق من الماء أكدر

فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال له : والله يا ابن عباسٍ [إن شأنك لعجيب](٣) إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصى البلاد نسألك عن الحرام والحلال فتتثاقل عنا ويأتيك مُتْرَف من مترفى قريش فينشدك :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال : ليس هكذا قال ، قال : فكيف قال ؟ قال : قال :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيَضْحَى ، وأما بالعشى فيخصر

---

(١) عنس: ناقة ، تخون نيها : انتقص شحم سنامها ، يريد أن طول السير أهزلها
(٢) كقاب الشبر : أى كقدره
(٣) ليس مابين المعقوفين فى الأغانى ، ولكنا زدناه لأن المعنى عليه ، ونبهنا على ذلك تحريا للأمانه ؛ ألا يظن بأنا ننسب إلى الناس مالا يقولون

فقال : ما أراك إلا كنت حفظت البيت ، قال : أجل و إن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها ، قال : فإني أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها ، فقال له بعضهم : مارأيت قط أذكى منك ، فقال : لكني مارأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب عليه السلام

وكان ابن عباس يقول : ماسمعت شيئاً قط إلا رويته و إني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ماتقول ، ولامه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة ، فقال إنها « أمن آل نُعْم » يستجيدها

وكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث المغيرى شيئاً بعدنا ؟

(١٣) ومما يُغَنَّى فيه من شعر عمر[1]

تَشُطُّ غداً دار جيراننا ... وَللدَّارُ بعد غد أبعدُ

إذا سلكت غَمْرذى كِندة ... مع الركب قَصْدٌ لها الفَرْقَدُ

وحَثَّ الحُداة بها عِيرها ... سراعاً إذا ما وَنت تُطْرَدُ

هنالك إما تُعَزِّى الفؤا ... د ، وإما على إثرهم تَكْمَدُ

فلست ببدع لَئِنْ دارُهَا ... نأتْ فالعزاء إذاً أجلد

صرمتِ وواصلتُ حتى عرفـ ... ـت أيْنَ المصادر والمورد

دعانيَ من بعد شيب القَذا ... ل رِيمٌ له عُنُقٌ أغْيَدُ

وعين تَصَابَى وتدعو الفتى ... لما تركُهُ للفتى أرشد

فتلك التى شيعتها الفتاة ... إلى الخِدْر قلبي بها مُقْصَد

تقول قد جُدَّ من بينها ... غداة غد عاجل موفد

ألست مشيعنا ليلة ... تُقَضِّى اللُّبَانة أو تَعْهَدُ

فقلت: بلى قد قَلَّ عندى لكم ... كَلاَلُ المطىِّ إذا تُجْهَدُ

فعودى إليها فقولى لها ... مَسَاء غدٍ لكم موعد

(١) انظر القطعة رقم ١٤٦ من الديوان

وآية ذلك أن تسمعى إلينا دليلاً بنـــا يقصُد[١]
فلمـا دنونا لجَرس النِّباح إذا الضوء والحى لم يرقدوا
نأينَا عن الحى حتى إذا تودع من نارهـا الموقد
وناموا بعثنا لهـا ناشداً وفى الحى بِغْيَةُ من ينشد[٢]
فقامت فقلت بَدَتْ صورةٌ من الشمس شَيَّعها الأسعدُ
فجاءت تهادَى على رِقْبة من الخوف أحشاؤها تُرْعَد
وكَفتْ سوابق من عَبرة على الخد جال بها الإثمِدُ
تقول وتُظْهر وَجْداً بنـا ووجدىَ لو أظهرت أوجد[٣]
لَمِمَّا شقـائى تَعَلَّقتكم وقد كان لى عندكم مَقْعَدُ
عراقية وتهـامى الهوى يَغُورُ بمكة أو يُنجد

وهذا الشعر يقوله عمر فى امرأة من ولد الأشعث بن قيس حَجَّتْ فهويها وراسلها ودخل إليها وتحدث معها وخطبها فقالت : أما ههنا فلا سبيل إلى ذلك ، ولـكن إن قدمت إلى بلدى خاطباً تزوجتك ، فلم يفعل ، وفيها يقول وقد شيعها[٤] :

قال الخليط : غداً تَصَدُّعنا أو بعـده أفلا تشيعنا ؟[٥]
أما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدارَ تجمعنا

(١) يروى هذا البيت وبعده :

وآية ذلك أن تسمعى إذا جئتكم ناشدا ينشد
فرحنا سراعا وراح الهوى إليها دليـــلا بنا يقصد

فيكون البيت ملفقا من بيتين ، وكثيرا ما يفعل الرواة ذلك

(٢) البغية : الطلب ، يعنى أن الحى يطلبون من ينشد الضالة ، وكأنهم علموا بما اتفقا عليه

(٣) رواية الديوان « ووجدى وإن أظهرت أوجد » وهى خير من هـذه

(٤) انظر القطعة رقم ٢٣٢ من الديوان

(٥) يروى « أو شيعه » فى مكان « أو بعده » وهى رواية الديوان ولسان العرب (ش ى ع) والشيع : المقدار من العدد ، وهو أيضا بمعنى بعد ، يقولون « كان هذا بعد رمضان بشهر أو شيعه » ويقولون « آتيك غدا أو شيعه »

لتَشُوقنا هند وقد علمت علماً بأن البين يَقْرَعنا[١]
عجباً لموقفنا وموقفهـا وبسَمْع تِرَبيْهَا تراجعنا
ومقالها سِرْ ليـلَةً معنا نَعْهَدْ فإن البين فاجعنا[٢]
قلت : العيون كثيرة معكم وأظن أن السـير مانعنا
لا بل نزوركمُ بأرضكمُ فيُطَاع قائلكم وشـافعنا
قالت : أشيء أنت فاعله هذا لعمرك أم تخادعنا ؟
بالله حـدِّثْ ما تؤمله واصدُق فإن الصدق واسعنا
اضرب لنـا أجلاً نعدُّ له إخلافُ موعـده تقاطُعُنَا

(١٤) وشَبَّبَ عمر بزينب بنت موسى الجُمَحِيَّة فى قصيدته التى يقول فيها[٣] :

يا خليليّ من مَـلامٍ دعانى وألمّا الغَدَاةَ بالأظعـان
لاتلوما فى آل زينب ؛ إن القلـب رَهْنٌ بآل زينبَ عَانِ
ما أرى ما بقيت أن أذكر المو قف منها بالخَيْف إلا شجانى[٤]
لم تَدَعْ للنساء عندىَ حظاً غير ما قلت مازحاً بلسانى[٥]
هى أهل الصفاء والود منى وإليها الهوى فلا تعذُلانى[٦]
حين قالت لأختها ولأخرى من قَطين مُوَلَّدٍ : حَدِّثانى
كيف لى اليوم أن أرى عمر المر سِل سراً فى القوم أن يلقانى
قالتا : نبتغى إليـه رسولاً ونُميت الحديث بالكتمان

(١) يروى « وقد قتلت * علما بأن البين فاجعنا »
(٢) يروى « فإن البين شائعنا »
(٣) انظر القطعة رقم ١٣٠ من الديوان
(٤) يقع هذا البيت فى الديوان سادس أبيات هذه الكلمة ، وفيه « ما أرى ماحييت »
(٥) فى الديوان «لم تدع للنساء عندى نصيبا» وفيه «غير ما كنت»
(٦) هذا البيت فى الديوان ثالث أبيات الكلمة

وكان سبب ذكره لها أن ابن أبى عَتيق ذكرها عنده يوماً ، فأطراها ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ماشغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشَبَّبَ بها ، فبلغ ذلك ابن أبى عتيق ، فلامه فيه ، وقال: أتنطق الشعر فى ابنة عمى؟ فقال عمر[١]

إننى اليوم عاد لى أحزانى وتذكرت مامضى من زمانى
وتذكرت ظبيةً أمَّ رِيمٍ هاج لى الشوقَ ذكرها فشجانى

وهى طويلة يقول فيها :

لا تَلُمْنِي عتيقُ حسبى الذى بى إن بى يا عتيق ما قد كفانى
لا تلمنى وأنت زَيَّنْتَهَا لى أنت مثل الشيطان للإنسان
إن بى داخلا من الحب قد أبـ ـلى عظامى مكنونُهُ وبرانى
لو بعينيك يا عتيق نظرنا ليلَةَ السفح قرت العينان
إن بدا الكَشْحُ والوشاح من الد ر وفصل فيه من المرجان
قد قلى قلبىَ النساء سواها غير ما قلتُ مازحاً بلسانى

(١٥) أنشد ابن أبى عتيق قول عمر[٢] :

وَمَنْ لسقيم يكتم الناسَ مابه لزينب نَجْوَى صدره والوساوسُ
أقول لمن يبغى الشِّفاء متى تَجِدْ بزينب تُدْرِكْ بعضَ ماأنت لامس[٣]
فإنك إن لم تَشْفِ من سقمى بها فإنك من طب الأطباء آئس[٤]
ولستُ بناسٍ ليلَةَ الدار مجلساً لزينب حتى يعلو الرأسَ رامس
فلما بدت قَمْراؤه وتكشفت دُجُنَّتُه وغاب مَنْ هو حارس

(١) انظر القطعة رقم ١٣٢ من الديوان
(٢) انظر القطعة رقم ٢٢٣ من الديوان
(٣) فى رواية «أقول لمن يبغى الشفاء متى تؤب»
(٤) يروى هذا البيت فى الديوان :
فإنك إلا تأت يوما بزينب فإنى من طب الأطباء يائس

وما نلت منها مَحْرَماً غير أننا كلانا من الثوب المورَّدِ لابس
نَجِيَّيْنِ نقضى اللهو فى غير مأثم وإن رغمت مِنّا الكاشحين المعاطِسُ

فقال : بنا سخر ابن أبى ربيعة ؟ فأى محرم بقى ؟ ثم أتى عمر فقال : يا عمر ألم تخبرنى أنك ما أتيت حراماً قط ؟ قال : بلى ، قال : فأخبرنى عن قولك « كلانا من الثوب المورَّد لابس » ما معناه ؟ قال : والله لأخبرنَّكَ ، خرجت أريد المسجد وخرجت زينبُ تريده ، فالتقينا فاتَّعدنا لبعض الشِّعاب ، فلما توسطنا الشِّعب أخذتنا السماء فكرهت أن يرى بثيابها بَلَل المطر ، فأمرتُ غلمانى فسترونا بكساء خز ، فقال له ابن أبى عتيق : هذا البيت يحتاج إلى حاضنة

(١٦) وقال عمر فى زينب هذه[1] :

طال من آل زينب الإعراض للمُغيرى وما بها الإبغاض[2]
ووليدين كان عُلّقها القلـ ـبُ إلى أن علا الرؤسَ بياضُ
حبلها عندنا متين ، وحبلى عندها واهنُ القوى أنقاضُ

ومما قال فيها ، وفيه غناء[3] :

أيها الكاشح المعيِّرُ بالصَّـ ـرم تزحزحْ فما لها الهجران
لامُطَاعٌ فى آل زينب فارجع أو تكلم حتى يَمَلّ اللسانُ
نجعل الليل موعداً حين نُمسى ثم يُخْفِى حديثَنا الكتمان

كيف صبرى عن بعض نفسى ؟ وهل يصبر عن بعض نفسه الإنسان ؟
ولقد أشهد المحدِّث عند القصر فيه تَعَفُّفٌ وبَيَانُ
فى زمان من المعيشة لَذّ قد مضى عَصْرُه وهذا زمان

---

(١) انظر القطعة رقم ٢٢٤ من الديوان
(٢) عجز هذا البيت فى الديوان «للتعدى ، وما بنا الإبغاض »
(٣) انظر القطعة رقم ١٣٤ من الديوان، وقد اختلف ترتيب أبياتها عما هنا كثيرا

ومنها[1] :

يا من لقلب مُتَيَّم كَلِف ... يهذِى بخَوْد مريضة النظر
تمشى الهوينا إذا مشت قُطُفا ... وهى كمثل العُسْلوج فى الشجر[2]
ما زال طَرْفى يحار إذ برزت ... حتى رأيت النقصان فى بصرى[3]
أبصرتها ليلة ونسوتها ... يمشين بين المَقام والحَجَر
ما إن طمعنا بها ولا طمعت ... حتى التقينا ليلا على قَدَر
بيضاً حساناً خرائداً قُطُفاً ... يمشين هَوْناً كمشية البقر
قد فُزْنَ بالحسن والجمال معاً ... وفُزْنَ رِسْلاً بالدَّلّ والخَفَر
يُنْصتن يوماً لها إذا نطقت ... كيما يُشَرِّفْنَهَا على البشر
قالت لتِرْب لها تحدثها ... لتُفسدِنَّ الطواف فى عمر[4]
قومى تصدَّىْ له ليعرفنا ... ثم اغمزيه يا أخْتُ فى حَفَرِ
قالت لها قد غمزتُهُ فأبى ... ثم اسبَطَرَّت تسعى على أثرى
من يُسْقَ بعد المَنَامِ رِيقتها ... يُسْقَ بكأسٍ ذِى لذة خَصِرِ

ومنها[5]

ألا يا بَكْرُ قد طَرَقَا ... خَيَال هاج لى الأَرَقا
بزينب إنها هَمِّى ... فكيف بحبلها خَلَقَا
خَدَلَّجَة إذا انصرفت ... أَلِفتُ السُّهد والأَرَقا
وساقاً تملأ الخلخا ... ل فيه تراه مختنقا

(١) انظر القطعة رقم ٢٨ من الديوان
(٢) فى الديوان « تمشى الهوينا إذا مشت فضلا »
(٣) فى الديوان « حتى التقينا ليلا على قدر » وهذا عجز البيت الخامس فى هذه الرواية هنا
(٤) فى الديوان « قالت لترب لها ملاطفة »
(٥) انظر القطعة رقم ٤٠٤ من الديوان

إذا ما زينبٌ ذكرت سكبت الدمع مُتّسقا
كأن سحابة تَهْمِى بمـــاء حُمِّلَتْ غَدَقا

ومنها [١]

أَلِمِمْ بزينب إن البين قد أَفِدا قَلَّ الثَّواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصَّوْرين جاهدةً وما على المرء إلا الحلف مجتهدا [٢]
لأختها ولأخرى من مَناصفها لقد وجدت به فوق الذى وجدا
لو جُمِّع الناسُ ثم اختير صفوهم شخصاً من الناس لم أَعدِل به أحدا

(١٧) اجتمع نسوة فذكرن عمر وشعره وظَرفه ومجلسه وحديثه، فتشوقن إليه وتمنينه، فقالت سكينة : أنا لكن به ، فبعثت إليه رسولاً أن يوافى الصورين ليلةً سَمَّتْهَا ، فوافاهن على رواحله، فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن ، فقال لهن: والله إنى محتاج إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة فى مسجده ، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً ، ثم انصرف إلى مكة وقال فى ذلك ماتقدم

(١٨) أنشد جرير قول عمر [٣]:

سَائِلاَ الرَّبْعَ بالبُلَىِّ وقولا : هِجْتَ شوقاً لِىَ الغداةَ طويلاَ
أين حَىٌّ حَلّوك إذ أنت مَحْفُو فٌ بِهِمْ آهِلٌ أراك جميلا
قال : ساروا فأمعنوا واستقلُّوا وبرَغْمِى لَوِ استطعت سبيلا
سَئِمونا ، وما سئمنا مُقَاماً وأَحَبُّوا دَمَائَةً وسُهُولا

فقال : إن هذا الذى كنا ندور عليه ، فأخطأناه ، وأصابه هذا القرشى .

(١) انظر القطعة رقم ٢١٨ من الديوان
(٢) فى الديوان « وما على المرء إلا الصبر مجتهدا »
(٣) انظر القطعة رقم ١٩٩ من الديوان .

(١٩) وأنشد مصعب قوله[١] :

ياليتنى قد أجَزْتُ الحَبْلَ نحوكمُ ... حبل المعرف أو جَاوَزْتُ ذا عُشَر
إن الثَّوَاءَ بأرْضٍ لا أراكِ بها ... ـ فاستيقنيه ـ ثَواءٌ حَقُّ ذِي كَدَر
وما مَلِلْتُ ولـكن زاد حبكمُ ... وما ذكرتك إلا ظَلْت كالسَّدِر
ولا جَذِلْتُ بشيء كان بَعْدَكمُ ... ولامنحت سواكِ الحبَّ من بشر
أذْرِى الدموع كذى سُقْمٍ يُخَامره ... وما يخامرنى سُقْمٌ سوى الذكر
كم قدذكرتك لوأجْدَى تذكُّركم ... يا أشْبَهَ الناسِ كُلِّ الناسِ بالقمر

فقال : إن لِشِعْرِ عمر لموقعاً فى القلب ، ومُخَالطة للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعر يسحر لـكان شعره سحرا .

(٢٠) وكان الحارث بن عبدالله أخو عمر رجلاً صالحاً دَيِّناً من سَرَوات قريش، وكان ينهى أخاه عن قول الشعر ، فيأبى أن يقبل منه ، فأعطاه ألفَ دينارٍ على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلَحْج وأبْيَن[٢] مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر ، فطَرِب يوماً فقال[٣] :

هَيْهَات مِنْ أمَةِ الوهاب منزلُنَا ... إذا حللنا بِسِيفِ البحر من عدن
واحْتَلَّ أهلُكِ أَجياداً ، وليس لنا ... إلا التذكر أو حظ من الحزن
لو أنها أبْصَرَت بالجزع عَبْرَتَهُ ... ظَنَّتْ بصاحبها أن ليس من وطني
ما أنس لاأنس يوم الخَيْف موقِفَهَا ... وموقفى وكِلاَنَا ثَمَّ ذو شَجَن
وقولَهَا للثريَّا وَهْىَ باكية ... والدمْعُ منهاعلى الخدين ذوسَنَنِ :

---

(١) انظر القطعة رقم ١٢ من الديوان .

(٢) لحج ـ بفتح اللام وسكون الحاء — مخلاف فى اليمن ، وأبين — بوزن أحمر ، وقد تكسر همزته ، وقد تبدل فيه الهمزة ياء مفتوحة — مخلاف باليمن أيضا منه عدن ، وقد عرفت أن أم عمر يمنية ، ونظر رقم ٧ .

(٣) انظر القطعة رقم ١٢٦ من الديوان .

بالله قولي له في غـــير مَعْتَبَة : ماذا أردتَ بطول المكث في اليمن؟
إن كنتَ حاوَلْتَ دنيا أو رضيتَ بها فما أخَذْتَ بترك الحج من ثمن

فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : والله هـــذا شعر عمر ، قد فتَكَ وغَدَرَ .

(٢١) قال مولى لعمر : كنتُ مع عمر ، وقد أسَنَّ وضَعُفَ ، فخرج يوماً يمشي متوكئاً على يدي حتى مَرَّ بعجوز جالسةٍ فقال: هذه فلانة، وكانت إلْفاً لي، فعدل إليها فسلم عليها ، وجلس عندها ، وجعل يحادثها ، ثم قال : هذه التي أقول[1] فيها :

ما زال طرفي يَحارُ إذ برزت حتى التقينا ليـــلاً على قَدَر

وجلس معها يحادثها ، فأطلعت رأسها إلى البيت وقالت : يا بناتي ، هـذا أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة عندي ، فإن كنتن تَشْتَهِينَ أن تَرَيْنَهُ فتعالَيْن ، فجئن إلى مَضْرِب قد حجزن به دون بابها ، فجعلن يثقبنه ويَضَعْن أعينهن عليه يبصرن ، فاستسقاها عمر ، فقالت له : أي الشراب أحب إليك ؟ قال : المـاء ، فأُتِيَ بإناء فيه ماء ، فشرب ، ثم ملأ فمه فمجَّه عليهن في وجوههن من وراء الحاجز فصاح الجواري وتهارَبْن وجعلن يضحكن ، فقالت له العجوز : ويلك ! لا تَدَعُ مجونك وسفهك مع هذه السنِّ ؟ فقال : لا تلوميني فما ملكت نفسي لما سمعت من ضحكهن أن فعلت مافعلت .

(٢٢) بينا عمر يطوف[2] بالبيت إذ رأى امرأة من أهل العراق، فأعجبه جمالها، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وأنشدها وأنشدته ، وخطبها ، فقالت : إن هذا لا يصلح ههنا ، ولـكن إن جِئْتَنِي إلى بلدي وخَطَبْتني إلى أهلي تزوجتك، فلما ارتحلوا جاء صديقا له من بني سَهْم ، وقال له : إن لي إليك حاجة أريد أن تساعدني عليها ، فقال له : نعم ، فأخذ بيده ولم يذكر له ما هي ، ثم أتى منزله

(١) انظر هذا البيت ضمن القطعة رقم ٢٨ من الديوان ، وفيه « إذ نظرت » .
(٢) انظر الخبر رقم ١٣ الذي سبق في ص ١١

فركب نجيباً له[١] وأركبه نجيباً ، وأخذ معه ما يصلحه ، وسارا لا يَشُكُّ السهمىُّ فى أنه يريد سفر يوم أو يومين ، فما زال يَحْفِد[٢] حتى لحق بالرفقة ، ثم سار بسيرهم يحادث المرأة طولَ طريقِهِ و يسايرها ، و ينزل عندها إذانزلت ، حتى ورد العراق ، فأقام أياماً ثم راسلها يستنجزها وعدها ، فأعلمته أنها كانت متزوجة بابن عم لها وولدت منه أولاداً ، ثم مات وأوصى بهم و بماله إليها مالم تتزوج ، وأنها تخاف فرقة أولادها وزوالَ النعمة ، و بعثت إليه بخمسة آلاف درهم ، واعتذرت ، فردَّها عليها ورحل إلى مكة ، وقال فى ذلك[٣] .

نام صحبى ولم أَنَمْ ... من خيال بنـــا ألَمّْ
طاف بالرَّكْبِ مَوْهِناً ... بين خاخ إلى إضَم[٤]
ثم نبهت صـــاحباً ... طيِّبَ الخِيمِ والشِّيَمْ
أَرْيَحِيًّا مُسَـــاعداً ... غـير نِكْس ولا بَرَم
قلت : يا عمرو شَفِّنى ... لاعجُ الحب والألم
ائتِ هِنْداً فقل لهـا ... ليلة الخَيْف ذى السلم

(٢٣) قال عثمان بن إبراهيم الحاطبى : أتيت عمر بن أبى ربيعة بعد أن نَسَكَ بسنين ، وهو فى مجلس قومه من بنى مخزوم ، فانتظرت حتى تفرق القوم ، ثم دنوت منه ومعى صاحبٌ لى ظريف ، وقد كان قال : تَعَالَ حتى نَهيجه على ذِكر الغَزَل ، فننظر هل بقى فى نفسه منه شىء ، فقال له صاحبى : يا أبا الخطاب ،

(١) النجيب من الإبل : الكريم .
(٢) يحفد : يسرع .
(٣) انظر القطعة رقم ٤١٧ من الديوان .
(٤) خاخ — بخاءين معجمتين بينهما ألف — موضع بين الحرمين ، ويحكى أنه موضع قريب من مكة ، وإضم — بكسر الهمزة وفتح الضاد — ماء يطؤه الطريق السالك من مكة إلى اليمامة ، عند السمينة ، له ذكر فى سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم .